Kırıkkale Üniversitesi
Sosyal Bilimler Dergisi (KÜSBD)

ISSN 2146-2879 Kirikkale University Journal of Social Sciences E-ISSN: 2717-6231

Makale Bilgisi/Article Info
Geliş/Received: 17.11.2021 Kabul/Accepted: 28.12.2021
Sanat ve Edebiyat Makalesi/Art and Literature Article, s./pp. 383-393.

أفعال الكلام في شعر عمر بن أبي ربيعة
–دراسة تداولية–

Mustafa ALMAWAS[i]

ملخص

لم يعد النظر إلى اللغة مقتصرًا على أنها أداة للتفكير والوصف الاجتماعي، بل تخطّى ذلك إلى مجال فلسفي أوسع هو صناعة العالَم والتأثير به، وذلك من خلال المقاربة التّداولية للخطاب.

ولمعرفة أسـرار أي عمل فنيّ لا بدَّ "من الوقوفِ عند أسـرارِ الانزياحِ القائمِ على خروجِ اللغةِ من منطقها النحوي العادي إلى منطقها الجمالي القائمِ على إكسابِ الدلالةِ والتركيبِ المِفَنّ والمعجم الشعري اللطيف". (Hafel Alyounes ،٢٠٢٠، ص٧١٠).

والتداولية هي فرع لساني تالٍ للنظرية التوليدية التحويلية التي نادى بها نعوم تشومسكي التي أعلت من شأن النحو على حساب الدّلالة، ودرست اللغة الرسمية وهمّشت اللغة اليومية، فجاءت التداولية لتُؤكد أهمية دراسة لغة الحياة اليومية التي يتمّ التواصل بها بشكل أكبر وأوسع من اللغة الرّسمية، فانتقدت بذلك نظريته التوليدية التحويلية التي لم تُركّز على الجانب التداولي المرتبط بالدلالة والسياق.

ولعلّ أبسـط تعاريف التداولية أنها الفرع اللسـاني الذي يدرس اللغة في الاسـتعمال؛ الذي يُركّز جُلّ اهتمامه على اللغة الحياتية. (أحمد قدور، مبادئ اللسانيات،٢٥٧)

ويسعى هذا البحث لتطبيق نظرية أفعال الكلام في شعر عمر بن أبي ربيعة وَفق النظرة العربية مُنطلقًا مما قدّمه الغربيون في الدرس التداولي، وذلك أننا لمحنا أنّ في شـعره أفعالًا تُدرج تحت بند "أفعال الكلام"، كالوعديات والحكميات وغيرهما. أما النظرة العربية لنظرية أفعال الكلام فتُدرج ضـمن مبحث الخبر والإنشاء الذي يُراعي مقتضى الحال وهو مظهر من مظاهر البلاغة.

الكلمات المفتاحية: *تداولية، أفعال الكلام، أسلوبية، عمر بن أبي ربيعة.*

Ömer B. Ebî Rabia'nın Şiirinde Konuşma Fiilleri
-Pragmatik Çalışma-

Öz

Dil yalnızca düşünce ve sosyal bir tasvir olarak değil aynı zamanda konuşmaya yönelik pragmatik bir yaklaşımla yapılan Dünya'yı üreten ve etkileyen daha geniş felsefi bir alana geçiş yaptı.

Herhangi bir sanat eserinin sırlarını bilmek için, "Dilin normal gramer yapısından çıkıp yer değiştirmesinden, anlam kazanmaya yönelik estetiksel mantığa, sanatsal yapısına ve güzel şiirsel sözlüğe dayanan sırlarını anlamak" gerekir. (Hafel Alyounes, 2020, s.710.)

Pragmatik, anlambilim pahasına dil bilgisinin önemini artıran Noam Chomsky tarafından savunulan dönüşümsel üretken kuramın bir dilbilim dalıdır. Resmi dil okundu ve gündelik dil ikinci plana atıldı, pragmatik, resmi dilden daha geniş daha kapsamlı bir şekilde iletilen günlük yaşam dilini çalışmanın önemini vurgulamak için geldi. Bu nedenle anlambilim ve akışın bağlantılı olduğu pragmatik yönüne odaklanmayan dönüşümsel üretken kuramı eleştirdi.

[i] Dr., Kırıkkale Üniversitesi, Fen-Edebiyat Fakültesi, Arapça Mütercim ve Tercümanlık Bölümü, e-posta: mustafamawas101@gmail.com, ORCID ID: 0000-0001-7502-2376

Belki de pragmatiğin en basit tanımı, kullanılan dili inceleyen ve dikkatinin çoğunu yaşam diline odaklayan dilbilim dalı olabilir. (Ahmet Kadur, Dilbilimin İlkeleri, 257).
Bu araştırma batılıların pragmatik derste sunduklarına dayanarak, Arap görüşüne göre Ömer b. Ebî Rabia'nın şiirinde konuşma fiilleri teorisini uygulamayı amaçlamaktadır. Zira onun şiirlerinde "konuşma fiilleri" başlığı altında yer alan vaatler, hikmetler ve diğerleri gibi fiiller olduğunu gördük.
Arapların konuşma fiilleri bakışına gelince, durumun gereğini dikkate alan haber ve inşa etme konuşunu kapsayarak ilerler ve bu da belagat olgusundan bir olgudur.

***Anahtar Kelimeler**: Pragmatik, Konuşma Fiilleri, Üslup, Ömer B. Ebî Rabia.*

Verbs of Speech in Omer B. Abi Rabia's Poem -A Pragmatic Study-

Absract

Perspective on language is no longer limited to language as a means of social thinking and definition, on the contrary, it has reached a philosophical field that reaches to affect and structure the circulating world with its speech approach.
In an attempt to know the secrets of any artwork, it is required to "understand the secrets of language goes out of its normal grammatical structure and its displacement based on aesthetic logic to gain meaning, artistic structure and beautiful poetic dictionary" (Hafel Alyounes, 2020, s.710.)
Circulation was first used by Noam Chomsky; puts the importance of grammar in the first place over meaning; It is a verbal branch that takes place after the theory of creating by transforming, focusing on formal language and pushing daily language into the background. Circulation also emerged to confirm the importance of examining the spoken language, which has a wider usage area than the official language and is used in daily life. Thus, it criticizes Noam Chomsky's theory that does not focus on context and meaning.
In the simplest way, circulation can be defined as the verbal branch that examines the use of language and focuses especially on its use in daily life. (Ahmed Kaddur, Mabadii al-Lisaniyyat, 257)
This study tries to adapt the effect of verbs in speech from the perspective of the Arabs, based on what Westerners put into circulation, to Omar b. Ebu Rabia's poems. So much so that, in his poems, it is seen that there are influences under the title of "the effect of verbs in speech" such as pledge and aphorism.

***Keywords**: Pragmatic, Effect Of Verbs, Rhetoric, Omar b. Ebu Rabia.*

أولًا: التداولية: النشأة والمفهوم

نشـأت التداولية مع الفيلسـوف الأمريكي تشـارلز موريس (١٩٠١-١٩٧٩م) أحد مؤسـسـي السـيميائية أو علم الإشـارات، وذلك عام ١٩٣٨م الذي رأى أن السـيميائية تُقسـم إلى ثلاثة أقسـام، هي: النحو، والدلالة، والتداولية. ووجد أن التداولية هي عبارة عن علاقة العلامات بمفسـريها، وهذا يعني أن موريس أولى الجانب السـياقي أهمية كُبرى في فهم كلام المتكلمين، لأنّ التداولية تدرس الخطاب.

أفعال الكلام في شعر عمر بن أبي ربيعة -دراسة تداولية-

ثم جاء الفيلسوف أوستن جون لانجشو فوضع نظرية أفعال الكلام، ولكنه لم يكن راضيًا عنها كلّ الرضا، ويشير إلى أنّه يشعر أنها غير مكتملة، فجاء تلميذه الفيلسوف الأمريكي (سيرلSearle) (١٩٣٢م-...) وذلك في عامي ١٩٦٩م و١٩٧٦م فطوّر هذه النظرية ووسّعها وقدّم صياغة نقدية لها، ثم جاء الفيلسوف البريطاني بول هربرت غرايس (١٩١٣-١٩٨٨م) وبلورها في مبدأ التعاون في التحاور عام ١٩٧٥م.

وتُعرّف التداولية بأنها "دراسـة اسـتعمال اللغة ومسـتعملي العلامة في المواقف". (مجيد الماشـطة وأمجد الركابي، ٢٠١٨، ص١٩).

وتُعرّف أيضًا بأنها "إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثَمّ علم الاستعمال اللغوي". (محمد حسن عبد العزيز، ٢٠١١م، ص٣٤٥).

ولا تنتمي التداولية إلى مستويات الدرس اللغوي، وكذلك لا تنضوي تحت أي علم من العلوم، ولكنها تتداخل مع علم الدلالة، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وتحليل الخطاب. وتدرس التداولية **الإشارة** من ضمائر وظروف، **والافتراض المسبق** وهو مفهوم منطقي يمكن التمثيل له بقولنا: أغلقِ النافذة، وهذا يفترض أن النافذة مفتوحة، وأن الآمر له سلطة على المأمور، وأنّ هناك سببًا للإغلاق. والاستلزام الحواري، والمقصود به أن حوارات الناس تحمل معنى صريحًا ومعنى متضمنًا، ولذلك يجب إيضاح ما يُقال وما يُقصَد من القول وذلك من خلال مبدأ التعاون بين المتكلِّم والمخاطَب، لتبيان هذا المقصد من خلال كمّ الحوار بأن يكون دون زيادة أو نقصان، وكيفه من حيث الصحّة وعدم الغلط، ومناسبته للموضوع المطروح، وطريقة قوله بتجنب الغموض واللبس وإيجاز الكلام وترتيبه. (محمد حسن عبد العزيز، ٢٠١١م، ص٣٤٦– ٣٥٠).

وأخيرًا هناك ما يُعرف باسم نظرية أفعال الكلام وهي محور البحث سيأتي الحديث عنها بعد قليل.

ويمكن القول: إن التداولية "لا تختلف عن علمي الدلالة والنحو إلا في المستوى فقط إذ تقوم بجمعها على مستوى ثالث خاص بالمقام أو السياق".(سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، ١٩٩٧م، ص١١١).

وإذا رمنا الحديث عن التداولية في الدرس التراثي العربي ألفيناها جزءًا لا يتجزأ من البلاغة، فقد تحدّث البلاغيون عن تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، وحللوا هذا التقسيم وفقًا لمقتضيات المقام ومقتضى الحال. كما تحدثوا في غير موضع من كتبهم عن أهمية استعمال المعاني بشكل دقيق يضمن إفهام المخاطَب لتحقيقي الإفادة التواصلية وحمل مقاصد المتكلم. (أحمد عزوز، ٢٠٠٨، ص٢٤٢).

وخلص مسعود صحراوي إلى أنّ ما يسميه المعاصرون أفعالاً كلامية ما هي إلا ظواهر التقديم والتأخير، والتعيين، والإثبات، والنفي، والخبر والإنشاء في عرف النحاة والبلاغيين، لأنهم اهتموا بالمعاني والأغراض الإبلاغية للخطاب، بغرض تحقيق الفائدة التواصلية، من تنبيه أو تأكيد أو نداء أو إغراء أو تحذير أو توبيخ وما إلى ذلك. (مسعود صحراوي، ٢٠٠٥م، ص٢٢٥).

ثانيًا: نظرية أفعال الكلام

ظهرت هذه النظرية عند أوستن الذي رأى أن أقوالنا هي إنجازات وليست مجرد أقوال لا قيمة لها، وقسمها إلى وظائف تداولية هي. (عامر الجراح، ٢٠١٩، ص١٧٢):

١– **الحكميات**: هي الأفعال التي تعلن حكمًا يتعلق بقيمة أو حدث كإخلاء الذمة وتبرئة الجاني.

٢– **الإنفاذيات**: هي الأفعال التي تقوم بإصدار قرار لصالح سلسلة أفعال أو ضدها من مثل: الأمر والتأسّف.

٣– **الوعديات**: وتفيد التزام المتكلم بالأفعال كتنفيذ المواعيد.

٤– **السلوكيات**: هي الأفعال التي تعبر عن مواقف تجاه سلوك الآخرين من مثل: الشكر، والتعزية.

٥– **التبيينات**: هي الأفعال التي تستعمل لتوضيح استعمال الكلمات، من مثل: أكّد، وفسّر، ووضّح، ونقل قولًا.

وجاء من بعده تلميذه (سيرلSearle) ففرق بين حدث القول، والإنجاز، والتأثير، فقولنا مثلًا: ارمها، حدث القول هو الرمي، وحدث الإنجاز هو الأمر بالرمي، وحدث التأثير هو الإقناع بالرمي. وهكذا ميّز (سيرلSearle) بين مجرّد القول وبين إنجازه، ولذلك وضع (سيرلSearle) خمسة أصناف أخرى لأفعال الكلام هي:

١– **التأكيدات**: هي الأفعال التي تطابق الواقع، وتتعلق بسياق الإنجاز، من مثل: لخّص، استنبط.

٢– **الأوامر**: هي الأفعال التي تقتضي حصول المتكلّم من خلالها على قيام المستمع بشيء ما، من مثل: أمر، وترجّى.

٣- الالتزامات: هي أفعال التعهد أو التكليف أو الوعديات ذاتها عند أوستن. وفيها يلزم المتكلم نفسه بعمل ما، من مثل: أضمن، أتعهد، أعد، أقسم، أعرض...

٤- التصريحات: هي الأفعال التي تعبّر عن حالات نفسية، لكنها لا تطابق الواقع بخلاف التأكيدات، من مثل: شكر، اعتذر، رحّب، هنّأ.

٥- الإدلاءات: وهي الأفعال التي تُنجز بمجرد الإعلان عنها، وتكون من قبل سلطة كالقاضي، أو الوزير، من مثل: أقدّم استقالتي، أعلنك رئيسًا، أنت مفصول. (عامر الجراح، ٢٠١٩، ص١٧٤)، (لونجي جوليان، ٢٠٢٠م، ٨٤)، (مجيد الماشطة، ٢٠٠٨م، ص٩٦).

وسنعتمد تصنيف (سيرلSearle) في النظر في شعر عمر بن أبي ربيعة الذي هو مدار الدراسة.

ثالثًا: ترجمة حياة عمر بن أبي ربيعة

هو "ابن أبي رَبِيَعة (٢٣- ٩٣هـ= ٦٤٤- ٧١٢م): عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، أبو الخطاب: أرق شعراء عصره، من طبقة جرير والفرزدق. ولم يكن في قريش أشعر منه. ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب، فسمي باسمه. وكان يفد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ويقربه. ورُفع إلى عمر بن عبد العزيز أنه يتعرض للنساء في موسم الحج ويشبب بهن، فنفاه إلى "دِهلِك" ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقا. له " ديوان شعر - ط " وكُتب في سيرته " أخبار عمر ابن أَبي ربيعة " لابن بسام (الشاعر المتوفى سنة ٣٠٣ هـ قال ابن خلكان لم يستقص أحد في بابه أبلغ منه، و "عمر بن أبي ربيعة، دراسة تحليلية- ط جزآن صغيران لجبرائيل جبور، و"عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل- ط" لعباس محمود العقاد، و"حب ابن أبي ربيعة- ط" لزكي مبارك، و"عمر بن أبي ربيعة- ط" لعمر فروخ". (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٥/ص٥٢)

رابعًا: أفعال الكلام في شعر عمر بن أبي ربيعة

أسلفنا القول في الحديث عن تصنيف أوستن للأفعال الكلامية، ثم ما قام به تلميذه من تصنيف آخر لأن أوستن ذاته لم يقتنع بتصنيفه الذي وضعه، فحاول سيرل تركيز العمل أكثر، ولذلك سننظر في التصنيفات الأربعة الأولى منها مطبقين إياها على شعر عمر بن أبي ربيعة، مستبعدين التصنيف الخامس لأنه يدخل في النثر أكثر من الشعر.

١- التأكيدات Assertifs:

وهي الأفعال الإخبارية، التي تحتمل الصدق والكذب، وتقابل في العربية الأسلوب الخبري، فهي تمثيل للواقع. وأمثلتها كثيرة في شعر ابن أبي ربيعة، ومن ذلك قوله:

مَرَّ بي سِرْبُ ظِباءٍ رَائِحاتٍ مِنْ قُباءِ
زمرًا نحوَ المصلَّى مُسْرعاتٍ في خَلاءِ
فتعرضتُ وألقيـ ـتُ جلابيبَ الحَياء
وقديمًا كانَ عَهدي وَفُتُوني بِالنِّساءِ

(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص٣٦٨)

يخبرنا عمر عن يوم من أيامه في تعرّضه في أيام الحج لمجموعة من النساء اللواتي مررن بمنطقة قباء وكأنّهن ظباء من شدة جمالهن، مشين جماعات نحو المصلى وقد باغتهن وهنّ في ذلك المكان المقدّس لأنّ عهده بالتعرض للنساء قديم.

وهذا الخبر الذي يعرضه عمر يحتمل التصديق والتكذيب، وإن كان يُمثّل الواقع، لأن عمر كثيرًا ما تعرّض للنسوة في أيام الحج كما يذكر في عدد من قصائده.

إن الأخبار التي ساقها عمر في هذا النص كانت جميعها أخبارًا من النوع الابتدائي، حيث خلت من المؤكدات، وكأن الشاعر يقول: هو أحد الأيام التي تعرّضت فيها للنسوة في المدينة، وما أكثرها.

وكثيرةٌ هي القصائد من النمط الخبري في ديوان عمر، وحسبنا أن نأخذ على سبيل المثال قطعة غزلية أخرى يقول فيها:

مَنْ لِقَلْبٍ عِنْدَ الرَّبابِ عَمِيدِ ... غيرِ ما مفتدًى ولا مردودِ

قَرَّبَتْهُ بِالْوَعْدِ حَتَّى إذا ما ... تَبَلَتْهُ لَمْ تُوفِ بِالْمَوْعودِ

آنسٌ دِلُّها قريبٌ فمن يـ ... ـمْ يقلْ ما نوالها ببعيد

وَالَّذي جَرَّبَ المَوَاعِدَ قَدْ يَعْـ ... ـلَمُ مِنْها أَنْ لَنْ تُنيلَ بِجودِ

(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص٣٢٠)

يخبرنا عمر في هذه القطعة عن محبوب له يعِدهُ ولكنه لا يفي بمواعيده، ولكنّه كان معمود القلب بسببه، أي أضناه التعب وأمرضه، فقد سلبه المحبوب قلبه ولم تردّه إليه، ووعدته بالقرب منه ولكنها لم تفِ بما وعدت، من رآها يأنس لها، فهي ذات دلال مُحبب، ومن يسمع عنها يظن أنها تفي بالمواعيد، لكنّ من جرّب مواعيدها يعلم أنها لن تجود بها.

هذه الأخبار التي ساقها عمر يصلح فيها التصديق والتكذيب، وهي أيضًا خالية من المؤكدات، وكأن عدم الإيفاء بالمواعيد هي عادة اعتاد عليها الشاعر ممن يحب.

٢– الأوامر Directifs:

وأفعال الأوامر تقابل في العربية أسلوب الطلب: الأمر والنهي، ويدخل ضمنها أيضًا الرجاء والالتماس، ففيها يطلب المتكلم شيئًا من المخاطَب، وتكون حالته النفسية حالة المتمني والراغب في تنفيذ هذا الطلب.

ومن ذلك قول عمر:

فاتقي ذا الجلال يا أمّ عمرو ... واحكمي في أسيركمْ بالصواب

افعلي بالأسير إحدى ثلاثٍ ... فافهميهنّ ثمّ ردي جوابي:

أُقْتُلِيهِ قَتْلًا سَرِيعًا مُرِيحًا ... لا تَكُوني عَلَيْهِ سَوْطَ عَذَابِ

أوْ أقيدي فإنما النفسُ بالنف ... س قضاءً مفصلًا في الكتاب

أوْ صليه وصلًا يقرُّ عليه ... إنَّ شَرَّ الوصَالِ وَصْلُ الكِذَابِ

(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص٤٠٩)

يتوجّه الشاعر بأفعال توجيهية متنوعة لحبيب ذاق منه ألم الحب، فوقع في شباكه أسيرًا لا يلوي على شيء، فراح يطلب منها أن تتقي الله فيه، وأن تحكم حكم الصواب، وذلك بأن تحكم عليه بأحد ثلاثة أحكام: القتل دون أن تشقيه، أو القصاص منه إن كان قد قتل أحدًا، أو تلتقي به حقيقةً لا كذبًا

هذه الأفعال التوجيهية (اتقي، احكمي، افعلي، افهمي، ردي، اقتلي، لا تكوني، أقيدي، صلي)، هي أفعال أظهرت حالته النفسية التي تتمنى إراحته من عذاب الجفاء والصد والهجران، وقد جاء أغلبها على صيغة أفعال الأمر، وجاءت صيغة النهي لمرة واحدة، وكأنّ النهي أقل قوّة في الطلب من الأمر لذلك لم يُكثر منه.

وقال في قصيدة أخرى:

يَا هِنْدُ لا تَبْخَلي بِنَائِلِكُمْ عنا فلمْ أقضِ منكمُ أربي

يا بنتَ خيرِ الملوكِ مأثرةً ليني لذي حَاجَةٍ ومُرْتَقِبِ

واقْتَصِدِي في المِلاَمِ وَاتَّرِكِي بَعْضَ التَّجَنِّي عَلَيَّ والغَضَبِ

وَأَجِّلينا لِوَعْدِكُمْ أَجَلًا ثمّ اصدقينا لا خيرَ في الكذب

قَالَتْ فَمِيعادُكَ التَّقَمُّرُ في أَوَّلِ عَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبِ

(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص٤١٧-٤١٨)

إن محبوبة عمر دائمة التمنع، ومواعيدها غير صادقة، لذلك هو دائم الطلب منها أن تصدق بمواعيدها وأن ترحمه وتلتقي به.

نجد الأفعال (لا تبخلي، ليني، اقتصدي، اتّركي، أجّلينا، اصدقينا) تحمل كثيرًا من الرغبة والرجاء والتوسل من الحبيبة في أن تجود عليه بالوصال، وأن تصدق في المواعيد وإن كانت مواعيد مؤجلة، ولكنها تأبى أن تعده وعدًا قاطعًا، لأنه قالت له: عليك أن تتحرّى ضوء القمر في أول عشرة أيام من شهر رجب، فهو وعد ليس دقيقًا.

وقال في قصيدة أخرى:

هلَّا ارعويتِ فَتَرحَمي صبًّا صَدْيانَ لَمْ تَدَعي لَهُ قَلْبا

لا تحسبي حظًّا خصصتِ به رَجُلًا سَلَبْتِ فُؤَادَهُ صَبّا

جَشِمَ الزِّيارَةَ عَنْ مَوَدَّتِكُمْ فأراد أن لا تحقدي ذنبا

فَلَذَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ سلمًا وكنتِ ترينهُ حربا

يَا أَيُّها المصْفي مَوَدَّتَهُ مَنْ لا يزال مساميًا خطبا

لا تجعلنْ أحدًا عليكَ إذا أحببتهُ وهويتهُ ربًّا

وَصِلِ الحَبِيبَ إذا كَلِفْتَ بِهِ وَاطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِبّا

(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص٤٢٩)

يلح الشاعر عمر على المعاني ذاتها في قصائده من تمنّع للمحبوبة، وجنايتها عليه بأنها سلبت قلبه، وتركته متعطشًا للوصال، ومع ذلك، فإنّه يتحايل عليها بأنّ طول الزيارة قد تورث الملل عند العشاق، ولذلك يتوجّه إليها بالفعل التوجيهي الناهي (لا تحسبي) ليؤكد لها أنّه إنْ لم يزرها بشكل دائم فذلك لكي تشتاق إليه، فعليها ألا تُضمر الحقد في نفسها، وتحسب هذا التغيّب ذنبًا، لأنه عندما كان يزورها كثيرًا كان تظن زياراته حربًا، فخفف من هذه الزيارات عسى أن تكون زيارته لها بعد مدة طويلة سلمًا لا حربًا. وليؤكد لها وجهة نظره هذه راح يتوجّه للخاطبين ناصحًا إياهم بألا يجعلوا المحبوب معبودًا، ويواصلوه دائمًا، وإنما عليهم أن يُباعدوا في الزيارة ليتحقق الشوق، وتزداد المودة.

٣– الالتزامات Commissifs:

وتعرف هذه الأفعال بأفعال الوعد عند أوستن، وهي الأفعال التي يتعهد فيها المتكلّم بشيء ما أمام السامع، أما سيرل فأسماها أفعال الالتزام، وذلك بأن يلتزم المتكلم بأن يفعل ما وعد به.

ولا يخفى أنّ الوعد في الشعر يختلف عن الوعد في النثر، فالشعر مقرون بالخيال، وكما قيل أعذب الشعر أكذبه، ولذلك ينبغي التفريق بين الوعد الذي يقصده أوستن وسيرل وهو الوعد الحقيقي الذي لا كذب فيه، أما الوعد الذي يكون في الشعر فهو على صنفين: حقيقي وكاذب، ويستطيع المتلقي تحديد صدقه وكذبه من خلال المقام الذي قيل فيه، وخير مثال على أفعال الالتزام أو الوعديات قصيدته اللامية التي يقول فيها:

هَاجَ ذا القَلْبَ مَنْزِلُ دَارِسُ الآيِ مُحْوِلُ

وَلَقَدْ كَانَ آهِلًا فِيهِ ظَبْيٌ مُبَتَّلُ

طيبُ النشرِ واضحٌ أحورُ العينِ أكحل

فَلَئِنْ بَانَ أَهْلُهُ فَبِمَا كَانَ يُؤْهَلُ

قَدْ أَرَانا بِغِبْطَةٍ فيه نلهو ونجذل

بِجَوارٍ خَرَائِدٍ ذَاكَ والوُدُّ يُبْذَلُ

إذ فؤادي بزينبٍ أُمِّ يَعْلَى مُوَكَّلُ

وهي فينا فلا تبا لِيهِ تلحى وتعذل

قبلَ أن يستفزها قَوْلُ وَاشٍ يُحَمِّلُ

حينَ أرسلتُ تهلُّلًا وأخو الودّ مرسلُ

باعْتِذَارٍ مِنْ سُخْطِها علّ أسماءَ تقبل

فَـــأَتَـــتْـــني بِمـــا هَـــوِيـــــــــت مـــن الـــقـــولِ تهـــلُّـــل
حـــينَ قـــالـــت: تـــقـــولُ زيـــــــــنـــبُ: إنا ســـــنـــفـــعـــل
أَنا مِـــــنْ ذَاكَ آيِـــــسٌ غـــــيرَ أني أُعـــــلَّـــــلُ
وأخٍ يســـــتـــــحـــــثـــــني ويـــــنـــــادي ويـــــبـــــذل
كـــلـــمـــا قـــالَ لي: انـــطـــلـــقْ قـــلـــت أرْبَـــعْ سَـــــأَفْـــعَـــلُ

(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص٣٣٣)

دأب عمر على إضفاء الحوار في كثير من قصائده، وأكثَرَ من "الرسل بينه وبين محبوباته في ديوانه. ونراه يعمد إلى مراسلة بعضهن، على شاكلة هذه الرسالة التي أرسل بها"(شوقي ضيف، ١٩٧٦م، ص٣٥٣)، إلى زينب المكنّاة بأمّ يعلى.

فبدأ عمر يصوّر عمر في هذه القصيدة مشهدًا من مشاهد وقوفه أمام ديار الحبيب الذي تبدلت معالمه بسبب رياح الصبا والشمال والجنوب، وبسبب ترك أهله له أيضًا، ثم ينتقل ليحكي قصة تعلّقه بزينب فأرسل لها جارية تُدعى (تهلل) لتُرسل له اعتذارًا لها، فجاءت تهلل تحمل وعدًا من زينب أنها ستفعل، أي ستقبل اعتذاره، ولكنّ عمر يعرف مواعيد الأحبة أنها غير صادقة بدليل أنه قال: أنا يائس من قولها ولكنني أعلل نفسي بهذه الإجابة، فالوعد من المحبوبة عند عمر كاذب لا محالة، ولكنّ وعده هو مختلف، ففي نهاية القصيدة يخبرنا أن صاحبه حضّه على ترك الأطلال واللحاق بالركب، فقال له: سأفعل، وهذا وعد عمر، وهو يختلف عن وعد الأحبة الذي صوّره في معظم ديوانه بأنه وعد كاذب، أمّا وعوده هو فقد صوّرها على أنها وعود صادقة، لذلك نتوقع من وعده هذا أن يكون صادقًا بحسب ديوانه أيضًا.

ولأنّ وعده صادق، نراه يعطي فسحة أمل للأحبة عندما يقرر ترك ديارهم، فنجده يقول:

ســـــأَجْتَنِـبُ الـدَّارَ الّـتي أَنْـتُـمُ بِهَـا ولـكـنّ طـرفي نحـوكـم ســـوفَ يعـدل

(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص٣٣٥)

فهو وإن وعد أنه سيترك دار الأحبة إلا أن طرفه سوف يظل ينظر إلى تلك الدار، لأنّ جوارحه قد تمكّن منها الحب فأبت أن تطاوعه.

ونجد أن أفعال الوعد كثيرًا ما تقترن بالسين أو سوف من مثل قوله:

ثمّ قـالـت بـل لمـنْ أبـغضـــكـمْ شـــقـوةُ الـعـيـشِ وتـكـلـيـفُ الحـزن
بَـلْ كَـرِيمٌ عَـلَّـقَـتْـهُ نَـفْسُـــهُ بِـكَـرِيمٍ لَـوْ يُـرَى أَوْ لَـوْ يُـدَنْ
سَـــــوْفَ آتي زَائِـرًا أَرْضَـــكُـمْ بـيـقـينٍ فـاعـلـمـيـهِ غـيرِ ظـن

(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص٣٧٢)

إذ يعد عمر زيارة أرض الحبيب، ويؤكد صدق وعده بقوله: (يقين فاعلميه غير ظن)، إذ لم يكتفِ بالفعل (سوف آتي)، بل أكده بالكلمات أيضًا، لأنه يريد أن تتحول الكلمات في عالم الخطاب إلى أفعال في عالم الواقع، فغاية أفعال الوعد هي القصد والتحقق.

٤– التصريحات Expressifs:

تُعرف هذه الأفعال أيضًا باسم الأفعال التعبيرية، وهي التي تعبر عن حالة نفسية، ولذلك أسماها أوستن السلوكيات، وتكون هذه الأفعال من مثل: شكرًا، هنيئًا، مرحى.. وقد وردت كلمة (هنيئًا) في ديوان الشاعر عمر في أربع مواضع هي قوله:

هنيئًا لأهلِ العامريةِ نشرها اللذيـ ـذُ وريـ ـاها التي أتذكرُ
(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص٢٩١)

وقوله:

هنيئًا لقلبٍ كنتُ أحسبُ أنهُ إذا شَاءَ سالٍ عَنْكِ أَوْ مُتَبَدِّلُ
فمتْ كمدًا يا قلبُ أو عشْ فإنما رَأَيْتُكَ بِالجَافي البَخِيلِ مَوَكَّلُ
(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص٣٣٧)

وقوله:

فَإن تَقْتُلي في غَيْرِ ذَنْبٍ أَقُلْ لَكُمْ مَقَالَةَ مَظْلُومٍ مَشُوقٍ مُتَيَّمِ
هنيئًا لكم قتلى وصفوُ مودتي فَقَدْ سِيطَ مِنْ لَحْمى هَواكِ وَمِنْ دَمِى
(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص١٩٧)

وقوله:

فَمَا أَنْسَ مِنْ وُدٍّ تَقَادَمَ عَهْدُهُ فلستُ بناسٍ ما هدتْ قدمي نعلي
عشيةَ قالتْ والدموعُ بعينها: هنيئًا لقلبٍ عنكَ لم يسلهِ مسلي
لَقَدْ كَانَ في إقْرَاضِكَ الوُدَّ غَيْرَنا وفعلكَ ناهٍ لي لوَ انّ معي عقلي
(ديوان عمر بن أبي ربيعة،١٩٥٢م، ص٣٣٨)

وهو في كل المواضع يعبّر عن تلك الحالة النفسية بالفعل الإنجازي (اهنأ هنيئًا)، فهو في الموضع الأول يصرّح بالهناءة لأهل العامرية بها لأنها ذات رائحة طيبة وجمال ناعم، وفي الموضع الثاني يصرّح بالهناءة لقلبه الذي اعتاد جفاء المحبوب فما عاد يسأل بأن يعيش أو يموت لأنّ الجفاء مقدَّر له طول عمره، وفي الموضع الثالث يتوجّه بالهناءة لمحبوبه الذي يرتضي له الألم والأسى والقتل لأنه

دائم النكران، أما في الموضـــع الرابع فالهناءة فيه مختلفة حيث أتت من المحبوب النادر الذي أصـــفاه المودة فقال مهنئًا نفســـه بعمر المخلص في حبّه.

هذا التصريح أو التعبير بالفعل الإنجازي (اهنأ هنيئًا) هو تعبير عن تلك الحالة النفسية المستبدة بالشاعر تجاه المحبوب في أغلب مواضعها، فكان السلوك متماشيًا مع الحال التي عهدها من المحبوب ولم يتبدّل عمر معها بدليل أن المحبوب في نهاية المطاف بادله التعبير والتصريح نفسه.

خامسًا: خاتمة ونتائج

بعد تطبيق نظرية أفعال الكلام في ديوان عمر بن أبي ربية نخلص إلى أهم النتائج التي توصل البحث إليها هي:

١- التداولية فرع لساني معرفي يهتم بالخطاب ضمن سياق محدد، وغايته الإيصال ومنع سوء الفهم.

٢- تلتقي نظرية أفعال الكلام في اللغة العربية مع أسلوب الخبر والإنشاء، فالمقصود بأفعال الكلام تنوّع الصيغ الكلامية وَفقًا للمقام الذي تُقال فيه، فإنْ صـح فيها الصـدق أو الكذب فهي أفعال إخبارية، أما إذا كان غايتها الأمر أو النهي أو الترجي أو التمني وما إلى ذلك فهي أفعال إنشائية.

٣- يمتاز شـــعر عمر بأنّه مُقتصـــر على الغزل، وهذا الاقتصـــار مكّن البحث من تحديد أفعال الكلام فيه، فالأفعال الإخبارية في معظمها هي حديثه عن مغامراته مع النســـاء، أما بقية الأفعال من أوامر والتزامات وتصـــريحات فهي تدور حول طلبه الدائم من الحبيب بعدم الجفاء، وأن تجود عليه بالوصـــال، وأن تتخذ منه موقفًا صـــارمًا، وأن تصـــدقه المواعيد، وأن تعترف بحبه لها، وما شاكل ذلك من معانٍ يكثر دورانها بين الأحبة.

سادسًا: المصادر والمراجع

- الجراح، عامر خليل: الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، دار سنابل، إسطنبول، ط١، ٢٠١٩م.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب– دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي– العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط١٧، ١٩٧٦م.
- قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، ٢٠١٤م،
- عبد الحميد، محيي الدين: شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، مطبعة السعادة بمصر، ط١، ١٩٥٢م.
- عبد العزيز، محمد حسن: علم اللغة الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
- عزوز، أحمد: المدارس اللسانية، دار آل رضوان، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٨م.
- لونجي، جوليان، وجورج إيليا سرفاتي: قاموس التداولية، ترجمة: لطفي السيد منصور، دار الرافدين، لبنان، ط١، أيلول ٢٠٢٠م.
- الماشطة، مجيد: شظايا لسانية، دار السياب، لندن، توزيع دار اليقظة الفكرية، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.
- الماشطة، مجيد وأمجد الركابي: مسرد التداولية، الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٨م.
- هفل اليونس، Hafel Alyounes، بائية سعد الغنوي، دراسة في فحولتها وبائها، Kırıkkale Universty Journal of Social Scieces -Kujss- Vulume 10 No 2 July 2020.